Arabic Renewal Journal مجلة التجديد العربي

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الثاني/ يوليو 2023

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

دور وواقع السوسيولوجيا اليوم في تفعيل مجتمع المعرفة والتنمية الانسانية المستدامة

وسيلة عيسات

جامعة طاهري محمد/ بشار الجزائر

aissat.wassila@yahoo.fr

المستخلص:

حاولنا من خلال هذه الورقة القراءة النظرية للعلاقة التي يمكن أن تكون بين السوسيولوجيا كعلم ودورها في تحقيق التنمية وبناء مجتمع المعرفة انطلاقا من ثقافة المجتمع، بدءا بقراءة واقع السوسيولوجيا في سنوات ما بعد الاستقلال أين أسندت إليها مهمة التنمية في الجزائر ثم في السنوات الأخيرة أين يشهد المجتمع موجة هائلة من التغيرات المتتالية القائمة على الثورة العظمى في تكنولوجيا المعلومات والمعرفة، وتسارع المجتمعات نحو بناء مجتمع معرفة وتحقيق التنمية القائمة على تدفق المعلومات خاصة في مجال التعليم العالي والبحث العلمي وبالتالي حاولنا البحث في موقع السوسيولوجيا من التنمية وبناء مجتمع المعرفة الذي يميز العالم الحالي وفلسفة التطور والتنمية.

الكلمات المفتاحية:

السوسيولوجيا– المعرفة– مجتمع المعرفة– التنمية– الثقافة.

Abstract

Through this paper, we tried to read the theory of the relationship that could be between sociology as a science and its role in achieving development and building a knowledge society based on the culture of society, starting with reading the reality of sociology in the post-independence years when it was entrusted with the task of development in Algeria, and then in recent years where society witnesses A massive wave of successive changes based on the great revolution in information and knowledge technology, and the acceleration of societies towards building a knowledge society and achieving development based on the flow of information, especially in the field of higher education and scientific research. Thus, we tried to research the sociology of development and

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369
building a knowledge society that characterizes the current world and the philosophy of development. and development.
Key words:
Sociology - knowledge - knowledge society - development - culture.

مقدمة

يعتبر توجيه المجتمعات للتحول نحو مجتمع المعرفة من بين أهم السياسات التي اعتمدتها الدول من أجل تحقيق التنمية سياسيا، اجتماعيا، اقتصاديا وثقافيا نظرا لتنامي دور المعرفة في بناء مجتمعات المعرفة عالميا خاصة مع ما يشهده العالم من ثورة عظمى في مجال الإعلام والاتصال والتكنولوجيات الحديثة ودورها في تسهيل هذه العملية. والجزائر من بين المجتمعات العربية التي نلاحظ أنها لم تصل بعد إلى تحقيق بناء مجتمعي معرفي إن صح التعبير، وبعبارة أخرى بناء مجتمع معرفة قائم بذاته نظرا لغياب ربما رؤى واستراتيجيات مستقبلية وتخطيط استشرافي حول هذا النوع الجديد من المجتمعات ودوره في عملية التنمية خاصة أمام ما تملكه (الجزائر) من موارد وطاقات بشرية ومعرفية ومؤسسات تعتبر من أهم أسس ومعالم هذا مجتمع، بحيث لا يمكن الاختلاف على أن مجتمع المعرفة يقوم على موارد بشرية غير تقليدية والمتمثل بالدرجة الأولى في المعرفة، عكس ما هو تقليدي والذي يقوم خاصة على الجهد العضلي، وربما هي أيضا جزء لا يتجزأ كذلك من فلسفة التدريس ضمن نظام LMD التي يجب أن تعتمد عليها الجامعة الجزائرية والعربية بصفة عامة خاصة عندما نتحدث عن التعليم عن بعد من جهة، ومن جهة أخرى تكوين إطارات وكفاءات من شأنها أن تساهم في تحقيق التنمية المجتمعية باستخدام المعلومة والمعرفة في ظل عصر المعرفة والمعلومات. وهنا نتحدث عن دور العلوم بمختلف مجالاتها وتخصصاتها في تحقيق هذه الأهداف التي يجب أن تكون مسطرة مسبقا وعلى رأسها العلوم الاجتماعية والسوسيولوجيا بشكل أخص كعلم يهتم بدراسة المجتمع.

إن الحديث عن مجتمعات المعرفة في الجزائر والوطن العربي يجب أن يراعي خصوصية تلك المجتمعات وميلها كغيرها إلى مقاومة التغيير، وهو الدور المنوط للعلوم الاجتماعية لفهم هذه الظاهرة وكيفية التعامل معها، إضافة إلى غياب استراتيجيات ومعرفة مسبقة بمجتمع المعرفة وكذا غياب حكامة رشيدة، وبالتالي علينا أولا استنطاق واقع المجتمع الجزائري للتعرف عن قرب على أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها مجتمع المعرفة والمعوقات التي تواجه تحقيق التنمية خاصة بالنظر إلى الجهود المكثفة لتحقيق ذلك.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ومن أهم الأسس والقواعد التي يجب توفرها هو البيئة الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، وهنا نتحدث ربما عن التخلف التكنولوجي والمعرفي في مجال التكنولوجيات الحديثة الذي لم يصل بعد للارتقاء ببناء مجتمع يقوم بالدرجة الأولى على المعرفة والمعلوماتية رغم المحاولات والجهود المبذولة لذلك، هذه الفجوة المعرفية بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون نشأت بالدرجة الأولى جراء عدم مساهمة المجتمعات العربية في إنتاج هذه التكنولوجيات، وبالتالي لم تتمكن من توطين المكتسبات والوسائط والآليات الجديدة التي من شأنها أن تحقق الاستفادة من المعارف الجديدة والمساهمة في تحقيق التنمية وبناء مجتمع المعرفة.

ومن هذا المنطلق سنحاول الوقوف من خلال هذه الورقة على واقع ودور العلوم الاجتماعية وعلى رأسها السوسيولوجيا في تفعيل مجتمع المعرفة وأهم المعوقات التي يمكن أن تقف حاجزا ربما في تحقيق ذلك مع محاولة اقتراح نموذج متكامل الأوجه ومنهجية واضحة المعالم تسمح للمجتمع الجزائري بناء مجتمع معرفة وتحقيق التنمية الانسانية في كل المجالات. وبالتالي أين يكمن دور العلوم الاجتماعية اليوم وعلى رأسها السوسيولوجيا في تحقيق التنمية الانسانية والمجتمعية عن طريق مجتمع المعرفة؟ هل استطاعت السوسيولوجيا فعلا تحقيق ذلك والمساهمة في بناء مجتمع المعرفة؟ ماهي أهم الأسس التي يجب توفرها لتحقيق ذلك؟ هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الاجابة عليها من خلال هذه الورقة.

1-إشكالية البحث السوسيولوجي في الجزائر:

إن الملاحظ للسوسيولوجيا في الجزائر والوطن العربي يتأكد أنها لم تتطور إلا في إطار المحاكاة للإنتاج السوسيولوجي الغربي، ولم تتجاوز بعد دائرة التهميش التي وضعت فيها إلا مؤخرا وبشكل نسبي فقط. والمتمعن للرصيد السوسيولوجي المحلي يتأكد أنه لم يتجاوز بعد جدار الجامعات ومراكز البحث وكأنه لايزال يمتثل للتهميش ولتلك المعوقات التي واجهته وتحكم السلطة في ذلك، أو ربما لتنكر السوسيولوجي ذاته لهذا العلم وتحويله لمجرد مفاهيم ونظريات تلقن للطلبة. فعوض التفاعل مع عناصر الأزمة ومحاولة حلها ومحاكاة مختلف التحولات وتجاوزها والمساهمة فيها فإن السوسيولوجيا في الجزائر حافظت على شكل الأزمة وعاشت ضمنها وتعايشت مع مختلف التغيرات دون التفكير في فهمها والاستفادة منها لتنمية المجتمع، خاصة المساهمة في بناء ما يعرف اليوم بمجتمع المعرفة. بالإضافة لأسباب عدة أخرى منها:

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

-غياب الفكر النقدي من خلال إهمال البحوث السوسيولوجية وحتى الانتروبولوجية الخاصة بالإرث الاستعماري وعدم إعادة قراءتها بطريقة نقدية واستثمارها كما حصل في المغرب مثلا.

-انعدام التأصيل الفكري وعدم القدرة على التحرر من هيمنة السوسيولوجيا الغربية والسعي إلى تجاوزها وبناء علم اجتماع محلي وعربي. أي محاولة فهم المجتمع الجزائري بناءا على نظريات غربية، في حين السوسيولوجيا بحاجة إلى الممارسة الميدانية للذات، الخروج من أسوار الجامعة وتجاوز التلقين النظري ومن ثمة محاكاة الواقع والميدان، خاصة عندما نتحدث على المجتمع الجزائري بتعدد ثقافاته ومجموعاته، وكل مجموعة لها خصوصيتها الثقافية التي لا يمكن ملاحظتها ودراستها إلا من خلال الاحتكاك بها ميدانيا. هنا تتدخل إشكالية الابستمولوجيا في السوسيولوجيا من خلال الانتاج المحلي، بمعنى محاولة الانتاج انطلاقا من الواقع المحلي وتجاوز الاعتماد على الانتاج السوسيولوجي الغربي إذا أردنا فعلا الوصول إلى المساهمة في السوسيولوجيا وتجاوز فكرة الكونية الاوروبية، أين تصبح الكونية الاوروبية ما هي إلا واحدة من الكونيات التي ستتشكل من محلي المجتمعات الاخرى. بمعنى آخر هل يمكن القول بأن الجانب الابستمولوجي هو ما يحتاجه الباحثون العرب لإعادة إحياء علم السوسيولوجيا في مختلف المجالات من بينها المساهمة في تنمية المجتمع وبناء مجتمع المعرفة؟، بمعنى القيام بدراسات متعمقة لثقافتهم ومحاولة انتاج معرفة والتأصيل لنظريةسوسيولوجية انطلاقا من معطيات واقعهم الاصلي، نظرا للدور الكبير الذي تلعبه في إعادة إحياء الثقافة والتراث في المجتمع العربي والمساعدة على فهمها وإعادة تحليلها؟ وبالتالي في هذه الحالة عندما نتحدث عن دور السوسيولوجيا في بناء وتأسيس مجتمع المعرفة انطلاقا من الثورة التكنولوجية التي تشهدها المجتمعات فإننا نتحدث بالدرجة الأولى في كيفية جعل هذه التقنيات في خدمة الثقافة وليس تحويل الثقافة إلى تقنيات.

على السوسيولوجي (يقول البروفيسور عبد القادر لقجع) " العربي أو الجزائري أن يعيد إنتاج الواقع ولكن بمنظور محلي" بمعنى كل مجتمع حسب خصوصيته وثقافته هذا ما نقصده بالمحلي. كيف يستطيع السوسيولوجي الجزائري أن يفهمه واقعه من منظور محلي وليس من منظور غربي؟ هذا لب الاشكال. فالمشكلة لا تكمن في المنهجية وانما المشكلة هي مشكلة ابستمولوجية محضة تكمن في طريقة تفكيرنا حول كيفية دراستنا للواقع محليا، والتي يجب أن تعتمد على الممارسة وليس مجرد تشكيل مؤسسات للبحث ببساطة لأن السوسيولوجيا هي في الاساس ممارسة تعتمد على لقاء العلوم الاجتماعية والانسانية في الجزائر. علينا تطوير الجانب الابستيمولوجي فعلا لتتبع التغيرات الثقافية والاجتماعية التي تطرأ على

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المجتمعات العربية عموما وكذا من أجل تحقيق ما يسمى بالتراكمية المعرفية في هذا المجال والتي من شأنها تأصيل البحث السوسيولوجي المحلي. فنحن نبحث عن الفكرة الاصيلة، والتي ننطلق من خلالها، ونأسس وننتقد ونمحص ما قلناه عن انفسنا وما قاله غيرنا عنها، وما نعيشه في واقعنا، وبذلك تبدأ ملامح السوسيولوجيا المحلية في النشوء والتبلور".

أجد نفسي مضطرة لربط السوسيولوجيا بالانتروبولوجيا من خلال فكرة مهمة وهي أن من أُسس بناء أنثروبولوجيا محلية العودة إلى الذات. هنا سنستعير فكرة الاستاذ عبد القادر لقجع (Abdelkader Lakjaa, 2017, P504) حول مسألة الانتقال من أنثروبولوجيا الغيرية أو الآخر L'anthropologie de l'altérité إلى أنثروبولوجيا الذات L'anthropologie de soi إذا اردنا تحقيق الجانب الابستمولوجي في الأنثروبولوجيا. ونحن نقول: الانتقال من سوسيولوجيا الغيرية إلى سوسيولوجيا الذات إذا أردنا فعلا بناء مجتمع المعرفة أو على الأقل المساهمة فيه. فالسؤال المطروح من قبل الاستاذ عبد القادر لقجع هو: هل ممكن أن نكون أنثروبولوجيين في مجتمعنا المحلي؟ (Abdelkader Lakjaa, 2017 P488) ونعيد طرح السؤال بشكل آخر: هل من الممكن أن نكون سوسيولوجيين في مجتمعنا المحلي؟ أي إلزامية العودة للذات ودراسة المجتمع محليا من خلال إنتاج جديد لمفاهيم وتصورات حول الواقع ومحاولة بلورة نظريات سوسيولوجية مستقلة عن السوسيولوجيا الغربية، ومستوحاة من طبيعة وخصوصية المجتمع الجزائري المحلي، وهذا ما قصده الاستاذ عبد القادر لقجع بالرجوع إلى الذات وما أسماه بأنثروبولوجيا الذات. هذه الذات التي تبحث عن خصوصيتها الثقافية والاجتماعية وتحاول دراسة واقعه. باعتبار أن الأنثروبولوجيا لا يمكن أن تنفصل عن السياقات التي أنتجت فيها نفس الشيء بالنسبة للسوسيولوجيا والبحث في سوسيولوجيا الذات. ونحن على أتم الثقة أن ما قدّمته السوسيولوجيا من خدمة للمجتمع لشموليتها في وقت مضى قد تقدمه للدول النامية عموما والعربية على وجه الخصوص لتخطي وتجاوز مختلف المعضلات التي تعترض التنمية، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة مقاربة الواقع الجزائري بالمفاهيم السوسيولوجية المعتاد (Djamel Gherid, 2013,P17) فهل من الممكن أن نكون فاعلين في الحقل السوسيولوجي؟

2-التفكير في تأسيس مجتمع المعرفة في الجزائر بين السوسيولوجيا كعلم والجامعة كواقع

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المعادلة التي يجب التفكير فيها في هذا المجال هي الإشكالية القائمة بين النخبة الجامعية والمجتمع المحلي وما نسميه باقتصاد المعرفة (مجتمع المعرفة). لماذا الجامعة غائبة في هذا المجال؟ خاصة عندما بتعلق الأمر بالمجتمع المحلي وكيفية المساهمة في تنميته وتطويره وخلق مجتمع المعرفة.

تجدر بنا الاشارة هنا إلى الدور الذي كان يقوم به علم الاجتماع في خدمة المشروع السياسي لتغيير المجتمع من خلال خاصة مرحلة التصنيع l'industrialisation، كذلك مرورا بالثورة الزراعية والثورة الثقافية، إصلاح الجامعة كذلك La réforme de l'enseignement supérieur... في هذه المرحلة أي في سنوات السبعينات يمكن القول أن علم الاجتماع كان يقوم بمهمته المنوطة إليه وهي النضال والعمل من أجل التغيير وتنمية المجتمع بعدما قامت الدولة بإلغاء علم الانتروبولوجيا باعتباره علما استعماريا واسناد المهمة إلى السوسيولوجيا لدراسة المجتمع الجزائري والمساهمة في تغييره وتنميته في مختلف المجالات. فالواقع الاجتماعي والسياسي والذي ولدت وتكونت من خلاله السوسيولوجيا في الجزائر هو الذي أسس لها وساهم في توجيهها وتشكيل هويتها. هذا الواقع الذي يفتقر بالدرجة الاولى إلى آليات بروزه كعلم قائم في حد ذاته. فمعظم الباحثين والدراسات تضع ربما علم الاجتماع والأنثروبولوجيا مثلا ضمن فضاء معرفي واحد سمي في بعض الأحيان بالسوسيو–أنتروبولوجيا لتبيين أن هناك تقارب ومنهج موحد بين التخصصين لاسيما من حيث الموضوع، أي أنهما علمان يشتركان في نفس الموضوع ربما لكنهما يختلفان في نوع المقاربة والمنهج وطريقة الدراسة يقول عدي الهواري ,Addi Lhouari) 2014, P25) في حين ذهب البعض الآخر إلى القول أن "قيمة الأنثروبولوجيا تكمن في تميزها بواسطة موضوعها ومنهجها عن علم الاجتماع دون أن تفترق عنه تماما (...) وبالتالي يمكننا اعتمادا على علم اجتماع أنثروبولوجي ممارسة نظرة مضاعفة تعيد بناء وحدة الموضوع المدروس وتبرز المحددات المادية والمنظومات الرمزية في آن واحد" (عادل فوزي، 1999، ص15). فهل يمكن فعلا تحقيق ذلك ونحن بحاجة أولا إلى تفعيل دور السوسيولوجيا النقدية لنقد ارث سوسيولوجي محلي وبناء مجتمع المعرفة وإرجاع الدور الأساسي للسويولوجيا في الجزائر والوطن العربي.

في السبعينات (وهو ما قاله البروفيسور عبد القادر لقجع في إحدى تدخلاته) أن علم الاجتماع كان في هذه المرحلة علم اجتماع نضالي في خدمة المشروع السياسي. ومع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات بدأت تتضاءل مهمة علم الاجتماع في الجزائر ودخل إن صح التعبير في مرحلة الركود، وهنا بدأت

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المحاولات لإخراج السوسيولوجيا من محيط الجامعة المغلوق إلى الواقع وإلى المجتمع وبالتالي العودة إلى ضرورة بناء علم الاجتماع القائم على نقد الواقع المحلي وعلى البحث الميداني متجاوزين بذلك مجرد البحث النظري داخل أسوار الجامعة. فشهدت الجامعة الجزائرية في بداية الثمانينات مجموعة من البحوث الميدانية التي غيرت نوعا ما من الموقف اتجاه علم الاجتماع ودوره في الجزائر وهو ما أدى بعد ذلك في سنوات الألفين للعودة أو التوجه نوعا ما إلى السوسيولوجيا كعلم نقدي كذلك. فرفض الأنتروبولوجيا ليس لأنها علم المستعمر بقدر العامل السياسي خاصة فترة السبعينات أين كانت السلطة الحاكمة مهتمة بعملية التحديث والتصنيع وتنمية المجتمع، من هذا المنظور كانوا ينظرون إلى علم الاجتماع كعلم وحيد قادر على السير بالمجتمع الى الحداثة وإعادة البناء وليس علم الأنثروبولوجيا رغم فشل السوسيولوجيا في تحقيق ذلك وهو ما ورد على السوسيولوجيين أنفسهم بقولهم "أن السوسيولوجيا لم تظهر قط إلى الوجود" (عبد القادر لقجع، 2002، ص10) وبتعبير الاستاذ جمال غريد علماء اجتماع ينتظرون مجتمعهم ومجتمع ينتظر علماء اجتماع. وفي نفس السياق اعترفت الباحثة الفرنسية كلودين شولي بفشل السوسيولوجيا قائلة "بالرغم من أن جل الدول المتحررة من الاستعمار وقع فيها جدال حول الأنثروبولوجيا وتم تعويضها بعلم الاجتماع مثل الجزائر، ليأخذ على عاتقه التفسير العلمي للتغيرات والتحولات الاجتماعية ما بعد الاستقلال، وليكن أيضا علما في خدمة التنمية، إلا أن الواقع كشف لنا عن حقائق حالت دون تمكن هذا العلم من النجاح لعدة أسباب" (Claudine Chaulet, 2002,P65)

كل هذا لتبيين الدور الذي يجب أن يلعبه علم الاجتماع في تغيير وبناء المجتمع الجزائري خاصة في المرحلة الحالية التي تشهد موجة من التحولات الجذرية في شتى المجالات خاصة التكنولوجية منها. وبالتالي فهو في مرحلة تحول وربما الانتقال من باراديغم خاص خاص بسوسيولوجيا استعمارية إلى براديغم آخر وهو كونية علم الاجتماع l'universalité de la sociologie وهو مشكل جديد آخر يتعلق بكيفية إثراء علم الاجتماع انطلاقا من واقع المجتمعات العربية وبالتالي المساهمة في بناء مجتمع المعرفة. فالفكرة الأساسية تعود في المرحلة الحالية إلى الافتقار للممارسة الميدانية في حقل السوسيولوجيا وهيمنة دائما السوسيولوجيا الغربية ولهذا دعا الاستاذ جمال غريد (Djamel Gherid, 2013) في آخر مرجع له إلى محاولة تجاوز الكونية الأوربية في السوسيولوجيا وبناء سوسيولوجيا عربية محلية تعمل على استنطاق الواقع الجزائري ومستوحاة من خصوصيته الثقافية، الاجتماعية والتاريخية. وهو ما نلاحظه أن

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

هناك اجتهاد واضح من قبل الأساتذة للقيام بعلم الاجتماع خاصة في السنوات الاخيرة حتى وإن لم يتم التوصل بعد لإرجاع مكانة هذا العلم إلا أنه في الطريق الصحيح لتحقيق ذلك.

فالمشكلة تكمن كما أكد الأستاذ عبد القادر لقجع بعلم اجتماع أو سوسيولوجيا لم تتمكن بعد من بناء واسترداد نزعتها النقدية القائمة بالأساس على نقد الذات (...) أي سوسيولوجيا لم تظهر بعد إلى الوجود (عبد القادر لقجع، 2002، ص11)، من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن إعادة بناء مجال بحث في ضوء مؤسسات يصعب عليها فهم رهان هذا التخصص (Abdelkader Lakjaa, 2017, P494) ، فلطالما كان النقاش يدور حول علمية هذا العلم بسبب التباس وضعه الابستمولوجي. وهو ما يؤكده بيير بورديو حين ذكر أنه من أساليب التخلص من الحقائق المقلقة هو الزعم بأنها لا علمية" (Pierre Bourdieu, 1993, P21). وبالتالي محاولة البحث في آفاق وتحديات ورهانات هذه العلوم في العصر الحالي، وكذا المساهمة والدخول في السوسيولوجيا الغربية ومحاولة بناء سوسيولوجيا محلية، وتفادي العجز في مواكبة وفهم هذا الواقع الجديد المتطور، وانبثاق هذا المجتمع الجديد –على حد تعبير الاستاذ عبد القادر لقجع– المختلف والمغاير، والذي يحتاج بالفعل الى إعادة قراءة، ودراسة وفهم، إذا ما أدرك الباحثون في العلوم الاجتماعية والانسانية الدور الهام الواجب عليهم القيام به لتفادي الزوال في خضم هذه المعركة، وتفادي موت العلوم الاجتماعية والانسانية في الجزائر خاصة وفي الوطن العربي بصفة عامة. وبالمقابل لا يمكن لنا أبدا ان ننكر ان العلوم الاجتماعية والانسانية وعلى رأسها السوسيولوجيا تعيش ازمة اليوم، بدليل أننا لا نفهم مجتمعاتنا، والسبب ليس فقط في عدم القدرة على مواكبة هذا التطور الهائل وإنما دراسة المجتمع الجزائري في هذه المرحلة بالذات بنظريات قد تجاوزها الزمن ولم تعد صالحة لدراسة الواقع الحالي للمجتمع الجزائري بمشكلاته الجديدة. فكل الباحثين في مجال العلم الاجتماعية والانسانية يقرون على أننا نعيش بالفعل تحولات متسارعة تتغير فيها حتى المعارف بسرعة كبيرة وبات من الضروري بطبيعة الحال إعادة التفكير في أساسيات البحث والدراسة بما يتواكب مع هذه الأوضاع والمعطيات الجديدة. وبالتالي فنحن أمام خيارين: فإما التشاؤم والعجز أمام هذه التغيرات وبالتالي الزوال ونبقى مجرد تابعين للغرب في هذا المجال دون أدنى حد من المساهمة لفهم مشكلات مجتمعاتنا الراهنة، وإما المساهمة بشكل فعال في العلوم الاجتماعية والانسانية بالدراسة والنقد والفحص والتدقيق في مشكلات المجتمع في حد ذاته.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

فالمجتمعات العربية اليوم تسعى جاهدة وفي شتى المجالات اللحاق بركب التنمية من خلال بناء مجتمع المعرفة، وبالتالي فهي بحاجة إلى مبادرات خلاق تحقق من خلالها ذلك وتحقق لأفرادها نوعا من الاستقرار الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي والسياسي، وهذا لا يتحقق إلا من خلال دراسة الأرضية التي يجب أن تبنى عليها هذه التنمية بشكلها الصحيح والتي تعتمد بالدرجة الأولى على الفرد في حد ذاته من خلال دراسة منظومته الثقافية والقيمية وهذا هو الدور الذي يجب أن تحققه السوسيولوجا كدراسة ابيبستيمية نقدية لواقع هذه المجتمعات العربية. هذا البحث السوسيولوجي الذي سيوفر للفرد مزيدا من التنمية والرفاه في شتى المجالات خاصة الاقتصادية منها من خلال البدئ بدراسة طبيعة هذا الفرد في حد ذاته وطبيعة حياته الاجتماعية، مختلف التغيرات والتحولات المتسرعة التي يشهدها وكيفية الاستفادة منها وتطويرها لصالحه والبحث عن حلول لها.

فلقد لعب التعليم مثلا دورا أساسيا في المساهمة عملية التنمية المستدامة "وإنماء المعارف الاساسية للبشر وتطوير علومهم وبناء قدراتهم الذاتية على التحليل والنقد ومواجهة المشاكل التي تعترضهم، وشكل الركيزة الأساسية التي بنيت عليها آليات التنمية بجميع أشكالها. كما لعبت العلوم بمختلف فروعها من رياضيات وفيزياء وفلسفة وتكنولوجيا وغير ذلك دورا بارزا في عملية الابتكار والإبداع والتطوير الاقتصادي وساهمت في بلوغ هذا المستوى من التقدم العلمي الذي نحن عليه اليوم" (عبد الحسن الحسيني، 2008، ص12) خاصة الثورة العظمى في مجال التكنولوجيات الحديثة التي يقوم عليها مجتمع المعرفة. والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة اين يكمن دور السوسيولوجيا في تحقيق التنمية والتطور وبناء مجتمع المعرفة انطلاقا من مجتمعنا المحلي؟ على اعتبار أن للعلوم دورها الرائد والمركزي في تحقيق التنمية البشرية والاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاستقرار.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه وبالرغم مما استطاع العلم والفرد على حد سواء تحقيقه في مجال التنمية والانجازات العلمية والتكنولوجية إلا أن هناك العديد من المشاكل التي يعاني منها هذا الفرد أو سيواجهها وينبغي إيجاد حلول لها إذا أردنا فعلا تحقيق وبناء مجتمع المعرفة. وبالتالي علينا البحث أولا في الأرضية التي ينبغي أن يبنى عليها هذا المجتمع الجديد القائم على إحداث التغيير الجذري في شتى المجالات والقائم على الاستخدام الواسع للتقنيات التكنولوجية الحديثة وتدفق وتسويق المعلومات. فبالرغم من الامكانيات الهائلة لبعض الدول العربية إلا أننا نجدها خارج مجال التنمية، ما يتطلب دراسة

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

استشرافية واستراتيجية لحل هذه المفارقة. والدليل على ذلك أن المجتمعات العربية لا تزال تقع في أواخر سلم الترتيب في ما يتعلق بالبحث العلمي الذي يعتبر أساس التنمية في المجتمع.

تقوم التنمية في أي مجتمع كان على البحث العلمي وتعزيز ثقافة الابتكار والابداع، كما تعتمد على المعرفة وتدفق المعلومات مقابل الامكانيات المادية، كما تقوم بالدرجة الأولى على فهم طبيعة الفرد في حد ذاته وطبيعة واقعه المجتمعي وهذا هو الدور الذي يجب أن تلعبه السوسيولوجيا إذا أردنا تحقيق التنمية.

مقابل كل هذا فإن طرح مشكلة السوسيولوجيا ودورها في بناء مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية تبقى من الأهداف التي يجب أن تعمل على تحقيقها الحكومات والمجتمعات، وذلك بإبراز دور السوسيولوجيا وأهميتها في البحث ودراسة الفرد والمجتمع وكل ما يتعلق بهما دراسة نقدية ايبستمولوجية بهدف الوصول إلى بناء الأرضية الصلبة التي سيبنى عليها ما نسميه بمجتمع المعرفة.

فتحقيق التنمية المستدامة للفرد والمجتمع وبناء مجتمع المعرفة يجب أن يراعي آليات تحقيق ذلك، وهذه الآليات تخص أولا الفرد والمجتمع في حد ذاتهما وهو ما نطلق عليه بالبنية أو المنظومة الثقافية والقيمية للمجتمع، إضافة إلى آليات تخص مسألة التنمية في حد ذاتها والأسس التي تقوم عليها، وهنا يكمن دور علم الاجتماع، ما سيساعد بالدرجة الأولى قبل وضع السياسات التنموية ومخطط بناء مجتمع المعرفة مراعاة إمكانية تطبيقها وتحديد الأولويات، اي مراعاة توفير الأرضية الصحيحة لذلك.

كما يعتبر البحث العلمي والتعليم بصفة عامة وتعزيز ثقافة الابتكار والابداع وخلق الفرد الفاعل في المجتمع من أهم أسس التنمية البشرية التي تعتبر مدخلا لبناء مجتمع المعرفة بطريقة صحيحة من خلال دراسة الفرد في حد ذاته.

فالدور الذي يجب أن تلعبه السوسيولوجيا في بناء مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية يجعلها أمام تحدي صعب نوعا ما وهو البحث في الأرضية التي يجب أن تتحقق قبل كل شيء، انطلاقا من تنمية البحث العلمي السوسيولوجي وتعزيز ثقافة الابتكار والخلق لدى الفرد بصفته فاعلا في المجتمع وفي شتى المجالات وبالتالي ما سيساعد على تحقيق نوعي للتنمية وبناء مجتمع واقتصاد المعرفة انطلاقا من دراسة المجتمع في حد ذاته والاستفادة من تجارب المجتمعات الأخرى وليس تطبيقها كما هي كنظريات، "فكثيرا ما يكون الإبداع وليد إعادة تنظيم المعلومات وتوظيف المعرفة بصورة مبتكرة. إن هذه النزعة الابتكارية ذات التمركز المعلوماتي قد فتحت الباب على مصراعيه أمام ممارسة الإبداع بصورة لم تعهدها البشرية

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

من قبل خصوصا بعد أن أتاحت الانترنت فرصا لا خصر لها لإقامة حوار خلاق بين الإنسان وكم هائل من المعلومات شديد التنوع دائم التجدد" (نبيل علي، 2009، ص15) والدور الأساسي في هذه الحالة للفرد هو في كيفية الاستغلال من خلال البحث في العوامل المعرقلة لقيام مجتمع المعرفة والعوامل المساعدة على ذلك سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع ككل.

3-السوسيولوجيا، الثقافة وبناء مجتمع المعرفة: الواقع والتحديات

انطلاقا مما سبق الحديث فيه، هل ينبغي على المجتمعات العربية اقتباس عناصر وأسس التنمية وبناء مجتمع المعرفة من المجتمعات الغربية، أي انطلاقا مما أنتجه الغرب؟

وعليه يبقى الدور قائما على الدولة والحكومات لمساعدة الباحثين والعلماء لوضع استراتيجيات وتبني خطط وبرامج تنموية تساهم في عملية التنمية. هاته الإشكالية التي لا طالما شغلت بال الباحثين والمفكرين خاصة في مجال السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، هل ما نملكه من باحثين وعلماء غير قادرين على الانتاج المعرفي؟ وبالتالي الحل المبدئي يكمن في اقتباس آليات التنمية (وهو ما يحدث فعلا في الوقت الراهن) خاصة في مجال التعليم والجامعة ولكن بما يتوافق مع مجتمعاتنا، "فالتعليم هو أحد أهم عناصر التنمية البشرية ومن أهم ركائز بناء مجتمع المعرفة، وهو الوسيلة الفعالة لمحاربة الفقر والجهل والتطرف والحد من الأزمات الاجتماعية(...) وبواسطة التعليم يمكن تزويد الفرد بالمعرفة التي تؤمن له العيش الكريم وتمنحه القدرة على استنباط الحلول والتفكير المنطقي لمعالجة أموره اليومية(...) لذلك ركز معظم علماء الاجتماع وخبراء التنمية على التعليم كوسيلة لمحاربة الفقر والجهل وكعنصر أساسي في التنمية البشرية والاقتصادية" (عبد الحسن الحسني، 2008، ص69) وبناء مجتمع المعرفة انطلاقا من المعرفة في حد ذاتها، وبالتالي فالرهان الحقيقي الحالي هو في كيفية التطبيق والاستغلال وإعادة الانتاج وهنا يكمن دور السوسيولوجيا في التفكيك الابستيمي للمجتمع وإعادة دراسته وفهم أهم مقوماته وخصوصياته التي قد تتلاءم مع عناصر قيام مجتمع المعرفة والعكس صحيح، بمعنى مجتمع المعرفة الذي يجب أن يتلاءم وخصوصية المجتمع المحلي.

فالملاحظ هو وبالرغم من الثروات الهائلة التي تتوافر عليها المجتمعات العربية خاصة المتعلقة منها بالنفط إلا أنها لم تستطع تحقيق التنمية وهذه في حد ذاتها مفارقة والسبب الرئيسي يعود إلى التقنية والجهل بكيفية استخدامها فالعالم اليوم يقوم على مرونة تدفق المعلومات والمعرفة وكيفية استخدامها واستغلالها بشكل جيد إيجابي، وبالتالي فالاقتباس من الغرب يجب أن يكون وفق ما يمكن الفرد من

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تحقيق التنمية والتطوير. وهذا هو في نظرنا لب المشكلة والمغزى من عملية الاقتباس، وهو إعادة المحورة وإعادة الإنتاج بالطريقة المثلى وهو ما يجعلهم يستفيدون ويفيدون ثقافتهم ومجتمعهم من تلك التقنيات كما ذكر الأستاذ عبد الرحمان عزي وليس تحويل الثقافة إلى تقنية وتهميشها، "فالثقافة لا تهمش، الثقافة كما قيل لا تقبل التهميش، فهي محور المنظومة المجتمعية ومصدر الاستدامة ونبع الابداع الذي لا ينضب، إضافة إلى كون صناعة الثقافة تعد من أهم صناعات مجتمع المعرفة، وتهميش المعرفة هو من أخطر ما توصم به العولمة الحالية وهو كذلك من أهم الأسباب وراء إخفاق كثير من مشاريع التنمية" (نبيل علي، 2009، ص37) وبالتالي تنمية المجتمع وابتكار المعرفة يكون انطلاقا من ذات المجتمع نفسه وثقافته وصولا إلى بناء وتحقيق مجتمع المعرفة. وهذا هو الدور الذي يجب أن تتبناه السوسيولوجيا اليوم القائم على مراعاة الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع.

وعليه لتحقيق التنمية وبناء مجتمع المعرفة يجب قبل كل شيء أن تكون هناك رؤية مستقبلية قائمة أساسا على البحث العلمي وتطوير العلوم والتعليم من خلال إعادة النظر في العلاقة القائمة منذ القدم بين السياسة والعلم (البحث العلمي). فمجتمع المعرفة قائم في الاساس على الخلق والابداع والابتكار المتجدد والذي يجد في المعرفة الصادرة عن التقنية الأداة الأساسية لتحقيق ذلك من خلال عملية تدفق المعلومات والمعارف واستخدام التكنولوجيات والتقنيات الحديثة للمعلومات والتي تلعب دورا رائدا في تحقيق التنمية التي أصبحت قائمة وتعتمد بشكل رئيسي على مجتمع المعرفة الذي يقوم على المعرفة والمعلومات.

يقودنا هذا ربما إلى الحديث عن إبستيمية المعرفة أو ابستيمية مجتمع المعرفة، وبالتالي الاهتمام بالبحث الابستيمي معرفي إن صح التعبير من خلال محاولة البحث في الطريقة المثلى لإعادة إنتاج الذات (المجتمع) في عالم متغير يعرف بعالم المعرفة وليس فقط مجتمعات المعرفة. وبالتالي قد يحدث هنا نوع من الاغتراب إذا لم نستطع المساهمة في عملية الإنتاج والابتكار التي تميز مجتمع المعرفة وتدخل ضمن فلسفته، وبالتالي في هذه الحالة يجب البحث ليس فيما هو كائن كما تعودنا في علم الاجتماع وإنما فيما ينبغي أن يكون ولكن من خلال ما هو كائن وهذا ما قصدناه بالجانب الإبستيمي في مجتمع المعرفة، لسبب وحيد وهو حتى لا نكون مستوردين لخططنا واستراتيجياتنا التنموية المستقبلية وهذا لا يكون إلا بالمساهمة في عملية الانتاج وبالتالي مأسسة مجتمع المعرفة.

خاتمة

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تطرقنا من خلال القراءة النظرية للسوسيولوجيا ودورها في بناء مجتمع المعرفة انطلاقا من كونها وعيا ابستمولوجيا، هذا الوعي الذي لا يتحرك إلا من خلال إثارة التساؤل السوسيولوجي ومحاولة فهم ما أسميناه بإبستيمية مجتمع المعرفة، وهذا الوعي الإبستيمي الذي تشكل لدينا من خلال العلاقة بين السوسيولوجيا ومحاولة بناء مجتمع المعرفة، أية علاقة؟ ما جعلنا ننتقل من سوسيولوجيا المعرفة إلى ابستمولوجيا مجتمع المعرفة بما يشكل حلقة وصل بين السوسيولوجيا وبناء مجتمع المعرفة انطلاقا من المجتمعات الغربية وسويولوجيا محلية تحاول المساهمة والبناء والتنمية انطلاقا من ثقافة المجتمع وبناء مجتمع المعرفة والمساهمة في الابتكار والابداع أو على الأقل إعادة الانتاج انطلاقا من خصوصية المجتمع.

لقد كثر الحديث عن مجتمع المعرفة وزاد في الآونة الأخيرة دون أدنى محاولة لفهم المعرفة في حد ذاتها، وأهميتها أولا في صنع أو إعادة صنع الفرد والمجتمع. جاء مجتمع المعرفة نتيجة للثورة التكنولوجية والتقنية كوجه من أوجه التغيير الذي يجب أن يتماشى معه المجتمع والفرد في محاولة لسد الفجوة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون لكن دون تهميش للثقافة والمنظومة الثقافية والقيمية للمجتمع وبالتالي البحث في طبيعة هاته المنظومة وهي المهمة التي يجب أن تقوم بها السوسيولوجيا من خلال بحث إبستمولوجي يهدف إلى فهم عناصر هذه المنظومة وتشكيل الأرضية الصحيحة والمتينة التي سيبنى عليها مجتمع المعرفة انطلاقا من ثقافته وليس من خلال تهميش الثقافة، حتى تساهم في صنع الفرد والمجتمع بالشكل الصحيح ونتفادى المخاطر التي قد تنجم عن سوء استخدامها.

فالمعرفة هي الأساس في تحقيق تنمية الفرد والمجتمع ككل ثقافيا، علميا، تربويا واقتصاديا لكن انطلاقا من اعتبار الثقافة محور منظومة التنمية في مجتمع المعرفة باستخدام المعرفة ذاتها ومعرفة كيفية التحكم فيها لخدمة ثقافة المجتمع وانطلاقا منها. فالمعرفة وبالقدر الذي قد تساهم به في بناء وتنمية المجتمع قد تساهم في حدوث العكس من ذلك تماما إذا جهلنا بكيفية استخدامها من جهة وقمنا بتهميش ثقافة المجتمع من جهة أخرى وهنا يكمن الدور الاساسي للسوسيولوجيا لتحديد الطريقة المثلى لاستغلالها (أي المعرفة)، هذه المعرفة التي تتغير وتتطور بتغير وتطور المجتمع وبالتالي فهو بحاجة دائمة إلى الدراسة والفهم. وعليه فالمعرفة هي من صنع العقل الانساني الذي يجب أن يعرف ويستوعب كيفية استغلالها. والسؤال الاي يطرح نفسه بشدة ويحتاج إلى إجابة من قبل السوسيولوجيا: من سبق الآخر؟ المجتمع او المعرفة، أو أن العلاقة بينهما تبادلية؟

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

قائمة المصادر والمراجع

1- عادل فوزي (1999)، إشكالية ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر، ترجمة العياشي عنصر، تنسيق نذير معروف، منشورات CRASC، نوفمبر.

2- عبد الحسن الحسيني(2008)، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة، قراءة في تجارب الدول العربية وإسرائيل والصين وماليزيا، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1.

3- عبد القادر لقجع(2002)، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، وهران أيام 4،5،6 ماي، دار القصبة للنشر، الجزائر.

4- نبيب علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة، مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، ج!، عالم المعرفة، الكويت، 2009.

Bibliographie

1- Abdelkader Lakjaa(2017), Etre anthropologue chez soi : Un point de vue Algérien, Revue du changement social, université Mohamed Khider, Biskra, Algérie, N°3, Juillet.

2- Addi Lhouari (2014), Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu, le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théorique, Edition El Maarifa, Alger.

3- Claudine Chaulet(2002), la sociologie au service du développement rétrospective, in sociologie et société en Algérie, Acte du colloque national de sociologie, mai, Oran, Edition Casbah, Algérie.

4- Djamel Gherid(2013), L'entrée en sociologie, Les limites de l'universel Européen, Implications concrètes dans le monde d'aujourd'hui, Ed Publisud, Paris.

5- Pierre Bourdieu, Question de sociologie, Ed Cérès, Tunis. 1993.